ويجوز أن يكون ضمير النصب في ( ضربوه ) عائدا إلى مصدر مأخوذ من فعل ( وقالوا ) أي ما ضربوا ذلك القول أي ما قالوه إلا جدلا . فالضرب بمعنى الإيجاد كما يقال : ضرب بيتا وقول الفرزدق : .

" ضربت عليك العنكبوت بنسجها والاستثناء في ( إلا جدلا ) مفرغ للمفعول لأجله أو للحال فيجوز أن ينتصب ( جدلا ) على المفعول لأجله أي ما ضربوه لشيء إلا للجدل ويجوز أن ينصب على الحال بتأويله بمجادلين أي ما ضربوه في حال من أحوالهم إلا في حال أنهم مجادلون لا مؤمنون بذلك .

وقوله ( بل هم قوم خصمون ) إضراب انتقالي إلى وصفهم بحب الخصام وإظهارهم من الحجج ما لا يعتقدونه تمويها على عامتهم .

والخصم بكسر الصاد : شديد التمسك بالخصومة واللجاج مع ظهور الحق عنده فهو يظهر أن ذلك ليس بحق .

وقرأ الجمهور ( أآلهتنا ) بتسهيل الهمزة الثانية . وقرأه عاصم وحمزة والكسائي بتخفيفها .

( إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل [ 59 ] ) لما ذكر ما يشير إلى قصة جدال ابن الزبعرى في قوله تعالى ( إنكم وما تعبدون من دون ا حصب جهنم ) وكان سبب جداله هو أن عيسى قد عبد من دون ا لم يترك الكلام ينقضي دون أن يردف بتقرير عبودية عيسى لهذه المناسبة إظهارا لخطل رأي الذين ادعوا إلهيته وعبدوه وهم النصارى حرصا على الاستدلال للحق .

وقد قصر عيسى على العبودية على طريقة قصر القلب للرد على الذين زعموه إلها أي ما هو إلا عبد لا إله لأن الإلهية تنافي العبودية . ثم كان قوله ( أنعمنا عليه ) إشارة إلى أنه قد فضل بنعمة الرسالة أي فليست له خصوصية مزية على بقية الرسل وليس تكوينه بدون أب إلا إرهاصا .

وأما قوله ( وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ) فهو إبطال لشبهة الذين ألهوه بتوهمهم أن كونه خلق بكلمة من ا يفيد أنه جزء من ا فهو حقيق بالإلهية أي كان خلقه في بطن أمه دون أن يقربها ذكر ليكون عبرة عجيبة في بني إسرائيل لأنهم كانوا قد ضعف إيمانهم بالغيب وبعد عهدهم بإرسال الرسل فبعث ا عيسى مجددا للإيمان بينهم ومبرهنا بمعجزاته على عظم قدرة ا ومعيدا لتشريف ا بني إسرائيل إذ جعل فيهم أنبياء ليكون ذلك سببا لقوة الإيمان فيهم

ومظهرا لفضيلة أهل الفضل الذين آمنوا به ولعناد الذين منعهم الدفع عن حرمتهم من الاعتراف بمعجزاته فناصبوه العداء وسعوا للتنكيل به وقتله فعصمه ا منهم ورفعه من بينهم فاهتدى به أقوام وافتتن به آخرون .

فالمثل هنا بمعنى العبرة كالذي في قوله آنفا ( فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ) .

وفي قوله ( لبني إسرائيل ) إشارة إلى أن عيسى لم يبعث إلا إلى بني إسرائيل وأنه لم يدع غير بني إسرائيل إلى اتباع دينه ومن اتبعوه من غير بني إسرائيل في عصور الكفر والشرك فإنما تقلدوا دعوته لأنها تنقذهم من ظلمات الشرك والوثينة والتعطيل .

( ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون [ 60 ] ) E A لما أشارت الآية السابقة إلى إبطال ضلالة الذين زعموا عيسى عليه السلام ابنا  تعالى من قصره على كونه عبدا  أنعم ا عليه بالرسالة وأنه عبرة لبني إسرائيل عقب ذلك بإبطال ما يماثل تلك الضلالة وهي ضلالة بعض المشركين في ادعاء بنوة الملائكة  تعالى المتقدم حكايتها في قوله ( وجعلوا له من عباده جزءا ) الآيات فأشير إلى أن الملائكة عباد  تعالى جعل مكانهم العوالم العليا وأنه لو شاء لجعلهم من سكان الأرض بدلا عن الناس أي أن كونهم من أهل العوالم العليا لم يكن واجبا لهم بالذات وما هو إلا وضع بجعل من ا تعالى كما جعل للأرض سكانا ولو شاء ا لعكس فجعل الملائكة في الأرض بدلا عن الناس فليس تشريف ا إياهم بسكني العوالم العليا بموجب بنوتهم  ولا بمقتض لهم إلهية كما لم يكن تشريف عيسى بنعمة الرسالة ولا تمييزه بالتكون من دون أب مقتضيا له إلهية وإنما هو بجعل ا وخلقه .

وجعل شرط ( لو ) فعلا مستقبلا للدلالة على أن هذه المشيئة لم تزل ممكنة بأن يعوض للملائكة سكنى الأرض .

ومعنى ( من ) في قوله ( منكم ) البدلية والعوض كالتي في قوله تعالى ( أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة )